محاضرات في مقياس: جماليات السرد العربي القديم

المحاضرة الأولى: السرد العربي القديم : المفهوم/ النشأة والتطور:

يعد السرد العربي القديم من أهم أشكال التعبير الأدبي في الثقافة العربية، كونه مظهر من المظاهر الأدبية التي عكست روح العرب وفكرهم وعاداتهم وتقاليدهم من خلال التعبير عن مختلف التجارب الإنسانية ونقل القيم الاجتماعية والثقافية والدينية.. فمنذ وجود الإنسان على سطح هذه المعمورة وهو يحاول أن يحكي أخباره ويتواصل مع غيره بمختلف الطرق، هذه الأخيرة التي تقودنا إلى مختلف الأشكال السردية عرفها العرب قديما كقصص الحيوان، والقصة العجائبية ، والسير الشعبية والمقامات وغيرها... لتكون هذه المضامين مرآة عاكسة لحياة العرب وسجلا ً خالداً لبطولاتهم ومآثرهم.

أولا- في مفهوم السرد:

1- لغة:

جاء في لسان العرب " السرد في اللغة من الفعل "سرد" يعني تتابع الشيء وانتظامه فيقال "سرد الحديث ونحوه أي تابعه وأحسن صياغته وسرد الكلام أي أورده متصلا ً بعضه ببعض "[1]، وفي تاج العروس:" سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا، إذ تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا وتسرده ، إذ كان جيد السياق، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه"[2]

وقد جاءت لفظة السرد في القرآن الكريم في قوله تعالى « **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَا فَضْلا ً يَا جِبَالُ أَوِبِي مَعَهُ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ، أَنْ اعْمَلْ صَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ واعْمَلُوا صَالِحًا إِنِي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** » . سورة سبأ 10-11

فاللّٰه يدعوا في هذه الآية سيدنا داوود ويحثه على إتقان العمل وإجادة ربط حلقات الحديد من خلال إحكام نظمها ووصلها ببعضها البعض فلا

---

[1]- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص:1987

[2]- مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تح عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، ط2، ج8، ص:187.

Modifier avec WPS Office

تكون ضيقة فتنكسر ولا واسعة فتفلت، ومن هنا استخدم مصطلح السرد في الأدب كدلالة على تتابع الأحداث في القصة أو الرواية بطريقة فنية مترابطة.

وانطلاقا من هذه المعاني اللغوية التي تحيلنا إلى المعنى الاصطلاحي نخلص إلى أن" السرد يحيل إلى الإجادة في حبك الكلام، ومراعاة الدقة في البناء، ونظم الكلام على نحو بارع تتلازم فيه عناصره ..والسارد هو من يجيد صنعة الحديث ويكون ماهر في نسجه، فقد ورد عن عائشة قولها : لم يكن النبي "يسرد الحديث كسردكم" لأنه كان يورده متماسك الأ جزاء، فلا يخل آخره بأوله، ولا تفسد نهايته بدايته متنه محكم البناء، و القصد.."[3]

2- اصطلاحا:

يختصر **جيرار جينيت** مفهوم السرد في "الخطاب الذي يُقدم من خلاله محتوى الحكاية"[4]، أي الطريقة التي تُعرض فيها الأحداث وليست الأ حداث نفسها، لكن هذه الطريقة التي تُنقل من خلالها الأحداث والوقائع يجب أن تتضمن بعد فكري وفنيا من خلال نظام لغوي مخصوص يقوم على رؤية فنية تعبر عن وعي الراوي وموقفه " فلا يراد بالسرد الإتيان با لأخبار على أي وجه كان، إنما إيرادها بتركيب سليم معبر عما يراد منها أن تؤديه، من خلال سوقها بأسلوب يفصح عن مقصودها دونما لبس"[5]

من خلال هذه الرؤية الفنية الجمالية تنعكس للقارئ شخصية الراوي ومدى براعته في تشكيل هذا الخطاب السردي، والذي يُعبر عنه أيضا بـ البنية اللغوية المتكاملة التي " يتم تحليلها لاستكشاف الأساليب وتوضيح الأنماط النصية، وتحديد أبنيتها الكلية والجزئية قبل محاولة الإمساك بدلا لتها الشاملة في كل نص على حدا.. "[6] ، فالسرد هنا ليس مجرد وسيلة لنقل الأخبار تحتوي على كلمات متتابعة، وإنما هو بنية متكاملة تعيد

---

[3]- عبد الله إبراهيم،موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2016م، ص: 11
[4]- ينظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية ، تر: محمد براءة، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986
[5]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص: 11.
[6]- ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشوق القاهرة، 1992م، ص:275.

Modifier avec WPS Office

صياغة التجربة الإنسانية فنيا لتحولها إلى تجربة أدبية تؤدي فيها اللغة وظيفة فنية منسجمة ومترابطة العناصر " الأحداث ، الشخصيات ، الزمان ، المكان...

السرد لا يكتفي بمجرد عرض الحقائق كما هي بل يُعيد صياغتها بأسلوب جمالي يعبر عن رؤية الكاتب، وهو عملية إبداعية تمزج بين اللغة و الفكر والجمال، والسرد انطلاقا من المفاهيم السابقة فن لغوي يعبر عن التجربة الإنسانية ضمن رؤية جمالية واعية يهتم من خلالها الكاتب بـ الجانب اللغوي والبنائي من جهة، والفكري والدلالي من جهة أخرى. وهو أداة نعرض من خلالها مجموعة من الوقائع والأحداث بهدف نقل تجربة إنسانية بأسلوب فني لغوي "سواء بواسطة اللغة أو الصورة أو وسيلة أخرى"، فالسرد لا يقتصر على الأدب فقط بل يشمل الوسائط السردية الشفوية، البصرية ، المكتوبة ..و كل أشكال التعبير التي تروى

ارتبط مفهوم السرد في الدراسات النقدية الحديثة بصوغ الخطاب السردي شفويا كان أم مكتوبا، وهذا الصوغ هو موضوع "السردية " التي تختص بالبحث في مكونات ذلك الصوغ الخطابي من راوٍ، ومروي، ومروى له، ثم الانتقال إلى دراسة مظاهره الأسلوبية ، والبنائية، والدلالية.[7]

ثانيا: نشأة السرد العربي القديم:

على الرغم من الأهمية الكبيرة التي يحتلها السرد في التراث العربي القديم إلا أن هيمنة الشعر على الحياة الأدبية والاجتماعية في الجاهلية جعلته يحتل المكانة الأولى والأسمى ليكون ديوان العرب ووسيلتهم للتعبير عن تجاربهم المختلفة " فالثقافة العربية الكلاسيكية كانت تمجد الشعر وتعده النوع الأدبي الأعلى في حين ظل النثر وخاصة السرد في مرتبة دونية من حيث الاعتراف النقدي والجمالي..."، وبتالي ظل السرد يمشي بخطوات متأنية وبإنتاج قليل "فالسرد العربي قديم قدم الإنسان العربي، وأولى النصوص التي وصلتنا عن العرب دالة على ذلك، فقد

[7]- عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي ، ص: 11.- 12.

Modifier avec WPS Office

مارس العربي السرد والحكي، شأنه شأن أي إنسان في أي مكان، بأشكال وصور متعددة، وانتهى إلينا مما خلفه العرب تراث مهم"[8]

عرف العرب السرد قديما في صورة شفوية تعتمد على الحفظ والنقل و الرواية مما جعله ينتمي إلى "نسق السرود الشفوية، فقد نشأ في ظل سيادة مطلقة للمشافهة التي كانت تخيم على الثقافة العربية في العصر الجاهلي، والقرون الإسلامية الأولى، ولم يقم التدوين الذي عرف في وقت لاحق، إلا بتثبيت آخر صورة بلغتها المرويات الشفوية" [9]

تجلت هذه الأعمال الشفوية في عدة أنواع كالحكايات والأخبار والأمثال والأساطير التي تناقلت شفويا في المجالس والأسواق، ومن بين هذه النماذج نذكر مثلا الأساطير التي كان العرب يعتمدونها في تفسير الظواهر الطبيعية، والخبر والأنساب كأخبار الملوك والقبائل، و الأمثال و الحكم و سير وقصص البطولات **(قصة الزير سالم، سيف بن ذي يزن غيرها..)**، ورغم قلة هذه النصوص الجاهلية إلا أنها كشفت عن وعي سردي فطري قائم على الحكاية المتسلسلة والشخصيات الرمزية مما مهد لظهور القص الإسلامي والمقامات والنوادر في القرون اللاحقة

أما في صدر الإسلام والعصر الأموي فقد اتخذ السرد طابعًا دينيا من خ لال قصص القرآن وسير الصحابة والصالحين، وقصص الملوك وتاريخهم في العصر الأموي، ليصل إلى أوج ازدهاره في العصر العباسي بفضل الا حتكاك والترجمة وظهور الكتابة لينتقل بهذا السرد من مرحلة الشفوية إلى عصر التدوين فتنوعت أشكاله ومضامينه وظهرت عدة أصناف نذكر منها:

- المقامات كمقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري والزمخشري
- السير الشعبية والبطولية كسيرة بني هشام، عنترة بن شداد، سيف بن ذي يزن..

[8]- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات الدار العربية للعلوم، ناشرون، الرباط، ط1، 2012م، ، ص: 56-57.

[9]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي القديم، ص: 27.

Modifier avec WPS Office

- الحكايات العجائبية كقصص ألف ليلية وليلة
- القصص الدينية كقصص الأنبياء والصالحين
- قصص الحيوان كقصص كليلية ودمنة
- القصص الديني والقرآني كقصص الأنبياء والصاحين...

مراجع المحاضرة:

- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، دط، دت ، ص:1987
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تح عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، ط2، ج8.
- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، 2016م. - جيرار جينيت، خطاب الحكاية ، تر: محمد براءة، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشوق القاهرة، 1992م، ص:275.
- سعيد يقطين، السرد السرد العربي مفاهيم وتجليات الدار العربية للعلوم، ناشرون، الرباط، ط1، 2012م.

Modifier avec WPS Office